المحاضرة العاشرة : الفن بمعنى نشاط صنعي

الفن : هو عمل أو نتاج أنتجه الإنسان فصاغه صياغة خاصة أعادت تنظيم مادته ، وتشكيل عناصره حتى اتخذت هيئة لا تتخذها في وجودها الطبيعي .وأول ما يمكن ملاحظته هو الفرق بين الفن والطبيعة ،وهو فرق يبينه "لوجنيوس" حين قال :أن الطبيعة تمدها بالعناصر واما (الفن) فينظم هذه العناصر . إن أساس الفن هو تدخل الانسان وقدرته على التشكيل والإخراج ،وآما حين نستعمل كلمة الطبيعة فنعني بها وجود الأشياء كما هي قبل آن يتدخل الانسان بإعادة التنظيم .

وهذا التفريق بين الطبيعة والفن يجمع بين الفنون الجميلة الرفيعة وبين الفنون العملية النفعية ، وهذا كما نستعمله في حياتنا اليومية لكلمة الفن فكما نقول: فن الرسم أو الشعر او الموسيقى نقول : فن التجارة وفن الحياكة وفن الطبخ وهذا لا ضير منه بل يفيدنا بتذكر التشابه بين الفنين النفعي والرفيع على الرغم من ما بينهما من فروق ذلك ان الفن art قد استعملت للفن النفعي قبل ان تستعمل للفن الرفيع .

ان الفنان artist مشتق من الصانع الماهرartisan وهي تسمية لا تزال تحتفظ بها في مثل قولنا :الفنون والصنائع arts and crates ولذلك فان الفنون النفعية تتحقق فيها الخاصية الاولى نفسها التي توجد في الفنون الرفيعة فهي تدخل من الانسان في مادة الكون وعناصره بشكل ويعيد اخراجها مستعملا مهارته الخاصة وذوقه الشخصي .

مما تقدم نرى ان الفن غير "الطبيعة" بل هو تدخل من الانسان في الطبيعة ، و التبديل فيها و اعادة تنظيمها ، فيوجد المواد في الطبيعة كالخشب و الحديد و ما شابه يأتي الفن النفعي يصنع لنا اشياء تنفعنا في قضاء حاجاتنا ولأجل الراحة و الرفاهية كما نصنع الكرسي و المدية لتقطيع اللحم او غير ذلك من المصنوعات الانسانية .

و على الرغم من ان هذه الاشياء المصنوعة تتسم بميسم الفن الا انها في جانبها الجميل اضافيا غير ضروري لأدائها الذي صنعت من اجله وهذا هو الفن النفعي .

ولذلك يتبادر سؤال هو ، ما الفرق بين "الفن النافع"و "الفن الرفيع" ؟ و الجواب ان "الفن النافع "وسيلة الى غرض أي التوصل الى تحقيق منفعة الكرسي مثلا لنجلس عليه و المدية لكي نقطع بها و هكذا ...

واما الفن الرفيع فلا يستعمل لشيء اخر بل هو غرض في حد ذاته . فنحن لا نستعمل اللوحة مثلا او التمثال لكي نجلس عليها او تحقق بهما أي غرض عملي اخر بل تتخذ كلا منهما من اجله هو ننظر الية و نتأمل فيه ، و تحقق متعتنا الخاصة بمجرد النظر الية وهذا وحده تحقق الغرض الذي من اجله صنع . وبهذا فان الفن النفعي هو وسيلة الى متعة و اما الفن الرفيع فهو

عين المتعة _ و بهذا فان العودة الى الطبيعة و موقف الانسان منها _ هو الذي بين لنا كنه المتعة التي تحصلها من مجرد النظر الى الفن الرفيع .

ان الفن عبارة عن نشاط معين ، لأنه لا يمكن ان يكون ثمة فن حيث لا تكون هناك صناعة ، وهذا هو رأي الفنان الفرنسي (فرديناند فيكتور أوجين ديلاكروا ١٧٩٨ – ١٨٦٣) .

اما (شارل لالو) فانه يقرر ان الفن بالمعنى الواسع للكلمة ، انما هو عبارة عن عملية التحوير أو التغيير ، التي يدخلها الانسان على مواد الطبيعة . وبهذا المعنى يشمل لفظ الفن شتى الفنون الميكانيكية والصناعية ، والتطبيقية . والعنصر المشترك الذي يقرب هذه الفنون من الفنون الجميلة ، هو الصناعة ، او الانتاج . ولكن كلما ابتعدت هذه الفنون عن آلية الصناعة ، فإنها تدنو من الفنون الجميلة . وعليه لابد لهذه الفنون من ان تنطوي على ابداع خيالي وترف كمالي ، وايهام ارادي ، وفاعلية نزيهة ، ورمزية لا شعورية ، او شعورية ، ونزوع غير مقيد نحو اللعب ، أو المتعة أو اللهو .

و يبدو انه كان هناك شبه تفرقة بين الفنون الصناعية او الآلية والفنون الجميلة عند فلاسفة اليونان ، فمنذ عصر افلاطون تميزت الفنون الجميلة عن الفنون اليدوية الصناعية بأنها اعلى في القيمة لأنها لا تعتمد على اليدوي الذي كان متروكا للعبيد نتيجة لانقسام المجتمع الى طبقتين ، طبقة يتوفر لها الفراغ والنظر العقلي وطبقة تقوم بالأعمال اليدوية ذات المجهود الجسماني ، ومن هنا فقد نظر الفلاسفة الى الفنون الجميلة التي لا تتطلب مهارة يدوية او مجهود جسماني نظرة مختلفة عن الفنون الصناعية ، وكان اهم ما يميزها عن الفنون الصناعية هي انها اقرب الى النظر الفلسفي وانها ناتجة عن الالهام ، كما ان لها دورا مهما في تربية وثقافة المواطن الحر ، فلم يكن لفن الحياكة او الحدادة او النجارة مثلا ما لفنون الشعر والموسيقى والرقص من قيمة في تربية المواطن اليوناني او الروماني القديم ، لذلك فقد استخدم افلاطون وارسطو كلمة المحاكاة للدلالة على هذا النوع من الفنون تمييزا لها عن الفنون الآلية ٠

فحسب رأي (جون ديوي) مثلا انه قد يكون (القناع او السيف) الذي يستعمله البدائي عملا صناعيا مستخدما لمنفعة ولكنه في نظرنا نحن الذين لا نستعمله عمل فني ذو قيمة فنية عالية ، اذا فالفرق بين العمل الفني والعمل الصناعي انما يرجع الى نظرتنا نحن او الى موقفنا تجاهه ، فقد يكون موقفا عمليا تارة وقد يكون موقفا تأمليا تارة اخرى ، وهذا يؤدي بالطبع الى انه قد يمكن للإناء الذي نشرب فيها الماء او الحذاء الذي نلبسه ان يتحولا الى عملين فنيين بمجرد ان نجعل منهما موضوعا للنظرة التأملية الجمالية ٠

واذا كان العمل الفني والعمل الصناعي كلاهما ثمرة للمجهود الانساني والعمل البشري الا ان هناك تفرقة توصل اليها الفيلسوف الفرنسي (سوريو) بين الطابع الغالب على العمل الفني والطابع الذي يغلب على العمل الصناعي ، فقد ذهب الى التفرقة بين نوعين من العمل ، عملا يسميه عملا فنيا وعمل يسميه عملا ادائيا ، ويتداخل هذان النوعان من النشاط في الفن وفي الصناعة على السواء ، اما العمل الأدائي فهو اقرب في رأيه الى التنفيذ الألي وهو الغالب في الصناعة ، ولكنه يمكن ان يدخل ايضا في الانتاج الفني ويحدث ذلك مثلا حين يكون الفنان بصدد تكرار لوحة ولكن من جهة اخرى يمكن ايضا للعمل الفني ان يتدخل في الصناعة ، وذلك حين تحتاج الصناعة لمسة ابداع وخلق وتعديل في صورة ما لإنتاجها صناعيا ، وفي مثل هذا

الخلق والابداع يكشف عن اصالة فردية وشخصية ما يميز العمل الفني ، ويكفي لتوضيح ان ننظر الى لوحة تمثل سيارة وان نشاهد عددا من السيارات عندئذ يمكن ان نلاحظ الفرق في طريقة تنفيذ اللوحة في حين تظهر السيارة اثار عمل الالة وبراعة التنفيذ والاداء الصناعي ٠